ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم

د. بلقاسم محمد الغالي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

الخلاصة

القرآن الكريم لا تنفذ عجائبه يزخر بألوان الإعجاز البلاغي والعلمي والتشريعي والغيبي. وقد اهتم به المسلمون اهتماماً بالغاً فتناولوا تفسيره وإعرابه وعلومه وهديه وإنذاره وتبشيره ووعده ووعيده. ولا يزال الإعجاز يستقطب الاهتمام. بيد أن الدراسات قد تركزت على ألوان الإعجاز المختلفة سوى ما يسمى بالإعجاز النفسي فالدراسات عنه نادرة، لذلك عمدت إلى هذا الضرب من الإعجاز فجعلتُ له مبحثا أولا تناول المعجزة وتعريفها ومعجزة القرآن الكريم وأوجه الإعجاز في إيجاز.

وفي المبحث الثاني عرضتُ للنفس ومفهومها وأنواعها وأفردت الإعجاز النفسي في القرآن بالإفاضة فوقفت عند اهتمام القدامى بمن ولج هذا الباب من أول المهتمين به من القدامى والمحدثين.

وفي المبحث الثالث أبرزت صنيع القرآن في نفوس العرب وغيرهم، ومدى تأثيره عليهم وكشفت عن وقائع تحمل أدلة ساطعة وحججاً باهرة على ما في القرآن من إعجاز نفسي وشفاء روحي ينفذ إلى أقطار النفس الإنسانية فيخلصها مما أصابها من اضطرابات وحيرة وقلق. هذه الآفات التي تعد أخطر أمراض العصر يتصدّى لها الكتاب العزيز فيزيل ما بالقلوب من أمراض نفسية مما يدلّ دلالة بينة على ما فيه من إعجاز يداوي النفوس ويبعث الطمأنينة ويقود إلى السعادة المادية والروحية.

ABSTRACT

The Qur'an is characterized by different types of inimitabilities (the miraculous nature of the Qur'an) including: language inimitability, scientific inimitability, inimitability in the rulings of the Quran and unseen inimitability. Muslims have exerted tremendous efforts in the interpretation of the Qu'ran, searching for different types of knowledge and guidance from this sacred book. Despite these efforts, inimitability remains an area demanding further study. Many studies have focused on different types of inimitabilities, but the psychological factor has not been given due attention. This study examines this type of inimitability. It begins with the definition of inimitability, its conditions, and its criteria. The discussion then turns to the study of psychological inimitability in the Quran. Views on this issue, as expounded by both earlier and contemporary scholars, are also discussed. The psychological effect of the message of the Qur'an on the Arabs is further examined, along with various examples of such inimitability. The study demonstrates how the Qur'an provides a remedy to many serious contemporary psychological problems, making evident the power of the Qur'an in bringing about peace and success to every individual.

مشكلة البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين. المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد فإن القرآن كتاب خالد، لا تفنى عجائبه، قد أنزله الله تعالى على نبيه الكريم ليكون كتاب هداية وإعجاز، معجزاته بهرت العرب والعجم وملأت الكون رحمة وكلما ازداد الإنسان فيها تأملاً، ازداد بها إعجاباً. فهي إلى يوم الدين لا تنقضي عجائبها.

بيد أن الإيمان الذي يحدث في قلوب المسلمين اليوم، إيمان بارد بل إيمان عادة وميراث وتقليد، تراهم يسمعون القرآن ويقرؤونه في صلاتهم وفي غير صلاتهم فلا تختلف بهم الحال عما كانوا عليه قبل أن يقرؤوا وقبل أن يصلوا.

فما هي إلا حركات أشبه بحركات من يمشي في طريق اعتاد أن يقطعه كل يوم ذهاباً وإياباً عشرات السنين دون أن يلتفت إلى ما فيه من ظواهر إبداع ومواطن إعجاز.

ولكنها حركات من سيطر عليه الإلف، وملكت العادة شعوره، وسيطرت على إحساسه فلم يعد يشعر بروعة ما يسمع. بل لا يجاوز الأمر لسانه، ولا ينتقل شيء من ذلك إلى قلبه.

فأين تلك الأنوار المشعة في كل آية من آياته وكلماته؟ وأين ذلك الإعجاز الذي هز أعطاف الناس جميعا وأثر في نفوسهم وقلوبهم تأثيرا بليغا؟ إن سر الانصراف عن الإعجاز البلاغي الرفيع سببه فساد السليقة وبعد المسلمين عن الأسلوب العربي الرفيع وفساد الذوق، فلم يعدْ فهم المعاني والألفاظ القرآنية كما سلف.

ذلك مما شجعني على اختيار هذا البحث لبيان الأثر النفسي لكتاب الله العزيز. فلقد كان لكلمات القرآن على الصدر الأول السلطان القاهر على النفوسَ، والمكان المكين من القلوب. فلا يسمع أو يقرأ آية من آيات الله حتى تستولي على وجوده كله، ولقد جعل الله عز وجل هذه الشريعة في آيات كريمة وجعل من هذه الآيات معجزات تغمر بنورها القلوب والعقول. لذلك سأستهل هذا البحث بتعريف المعجزة ثم ألمح إلى أنواع

الإعجازَ، ثم أفصّل القول في الإعجاز النفسي لهذا الكتاب العزيز ذلك لأن كل من يقرؤه ينبهر به من الجاهلية إلى العصر الحديث فما سرّ هذه الجاذبية؟ وهل يعود ذلك التأثير إلى الإعجاز البلاغي؟ أم إلى أنواع أخرى من الإعجاز؟ وهل هناك نماذج لهذا التأثير؟ وهل ألف فيه المؤلفون كما ألفوا في ضروب الإعجاز الأخرى كالبياني والغيبي والتشريعي والعلمي؟

ذلك ما سيحاول هذا البحث الإجابة عليه إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول: معجزة القرآن الكريم

1. معنى المعجزة:

المعجزة تناولها علماء اللغة كما عرض لها علماء الكلام بالتعريف.

2. لغة:

قال الراغب الأصفهاني(1): عجز الإنسان: مؤخره. والعجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر: أي مؤخره وصار في المتعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء.

وفي شرح المقاصد للتفتازاني: اللفظ مأخوذ من العجز المقابل للقدرة. وحقيقة الإعجاز إثبات العجز استعير لإظهاره(2).

3. اصطلاحاً:

وقال الأشعري: المعجزة فعل خارق للعادة مقترن بالتحدي سليم من المعارضة، ينزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة، وهو منقسم إلى خرق المعتاد وإلى إثبات غير المعتاد(3).

وقال السعد في كتابه المقاصد: "المعجزة هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، يظهره الله على يد الرسل – عليهم الصلاة والسلام – تصديقا لدعواهم في الرسالة"(4).

معجزة القرآن الكريم:

أيد الله أنبياءه ورسله السابقين بمعجزات اقتصرت على زمنهم، وانتهت بانتهائهم، أما محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء فقد منحه معجزة خالدة هي القرآن الكريم

الذي تكفل الله بحمايته من التحريف والتزييف، وحفظه من الاندثار والزوال: **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)**(5).

يقول شوقي رحمه الله:

جاء النبيون بالآيات فانْصرمت وجئتنا بحكيم غير منصرم

وطبيعة هذا الخارق تدعو العقول إلى إعمال النظر فإن خامرت أصحابها الشكوك تحداهم بأن يأتوا بأقل جزء من مثله. **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله)**(6). وقد بان عجز أئمة الفصاحة والبلاغة من العرب عن معارضته والإتيان ولو بسورة واحدة من مثله، حتى أنهم كانوا يصمون آذانهم عن سماعه خوفاً من تأثيره عليهم، ولو كان في إمكانهم محاكاته لما لجؤوا إلى الحرب والقتال وتعريض أنفسهم وأموالهم إلى التلف والهلاك.

ولمحمود محمد شاكر صاحب المقدمة لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي(7) تحليل دقيق لمعنى الإعجاز القرآني يقول فيه: " لا أظن أن قائلاً يستطيع أن يقول إن التوراة والإنجيل والزبور كتب معجزة، بالمعنى المعروف في شأن إعجاز القرآن، من أجل أنها كتب منزلة من عند الله. ومن البيّن أن العرب قد طولبوا بأن يعرفوا دليل نبوة رسول الله، ودليل صدق الوحي الذي يأتيه، بمجرد سماع القرآن نفسه، لا بما يجادلهم به حتى يلزمهم الحجة في توحيد الله، أو تصديق نبوته، ولا بمعجزة كمعجزات إخوانه من الأنبياء مما آمن على مثله البشر، وقد بيّن الله في غير آية من كتابه أن سماع القرآن يقتضيهم إدراك مباينته لكلامهم، وأنه ليس من كلام بشر، بل هو كلام رب العالمين وبهذا جاء الأمر في قوله: **(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)**(8).

فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة فليست برهانا على إعجاز القرآن والخلط بين هاتين الحقيقتين قد أدّت إلى تخليط شديد في الدراسة قديما وحديثاً"(9).

وجه إعجاز القرآن الكريم:

لئن حظيت ظاهرة إعجاز القرآن بدراسات مستفيضة مستقلة تناولت جميع جوانبه، فلا يمنع من أن نشير بإيجاز إلى بعض تلك الجوانب لشيوعها في جميع كتب العقيدة

التي تناولت النبوة والمعجزة بصفة خاصة، وقد اختلفت أنظار العلماء في تعيين جهة الإعجاز حسب تقدير كل واحد منهم وتعددت بسبب هذا الاختلاف الأوجه.

1) – الإعجاز البياني:

أ - **الفصاحة:** ركز أصحاب هذا الرأي نظرهم على نظم القرآن وتأليفه وأسلوبه المتميز عن شعر العرب ونثرهم، فوضع أوائل السور، والقصص، وأواخرها، وآخر الآيات جاء على نمط لم يعهدوه.

ب - **البلاغة:** وهؤلاء لفت نظرهم ما في القرآن من أنواع التشبيه والتأكيد، ودلالة اللفظ القليل على المعنى الكثير كمثل قوله تعالى: **(ولكم في القصاص حياة)**(10)، وكمثل قوله تعالى: **(ألاّ تعلوا عليّ وأتوني مسلمين)**(11)، وضرب الأمثال والمجاز، والتأخير والتقديم، وغيرها من فنون البلاغة مراعاة لمقتضى الحال.

ج - **عدم اختلافه وتناقضه:** إن القرآن رغم طوله، واتساعه، وتنوع أغراضه خال من التناقض والاختلاف: **(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)**(12).

2) – الإعجاز الغيبي:

أخبر القرآن الكريم عن كثير من الوقائع قبل وقوعها، وتمت كما ذكر، وبالكيفية التي وضحها كمثل قوله تعالى: **(ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين)**(13) وكمثل قوله: **(لقد صدق رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون)**(14).

3) – الإعجاز التشريعي:

إن تشريعات القرآن فاقت أرقى النظم التي عنيتْ بحقوق الإنسان وواجباته وسعت إلى تحقيق مصالحه وتوفير مناعته، يقول عبد الرزاق نوفل: "أجمعت الآراء في مختلف المؤتمرات واتفقت كل الدراسات على أن القرآن الكريم هو أكمل القوانين وأشمل التشريعات"(15)، وقد استرعى هذا اللون من الإعجاز القدامى والمحدثين. فمن القدامى القرطبي الذي عدّد أوجه الإعجاز وذكر منها ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام(16) وهو يعني بذلك الإعجاز التشريعي.

ولقد اعترف الغرب النصراني بعظمة التشريعات الإسلامية فقد أقيمت المؤتمرات للفقه الإسلامي، وشهدت بروعة التشريع الإسلامي الذي لم يسبقه سابق ولم يلحق به لا حق على حدّ تعبير الشيخ محمد أبو زهرة(17)، وقد اكتشف العلماء للقرآن معجزات أخرى متنوعة أشهرها:

4) - الإعجاز العلمي:

لئن كان القرآن في جوهره وأساسه كتاب هداية وإرشاد فإنه لم يخل من إشارات علمية لشتى الحقائق الكونية أثبتت التجربة والفحص الدقيق وقوعها كما ذكر القرآن، مما يدل على إعجازه، إذ لو كان كلاماً بشرياً لظهرت الأخطاء ولو في بعض الحقائق وحصل الخلف وإن في قلة من النتائج.

يقول القرآن الكريم في بيان خصائص الماءين عند التقائهما: **(وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجراً محجوراً)**(18)، **(مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)**(19) فقد أفادت الآيات أن الماءيْن إذا التقيا لا يختلط أحدهما في الآخر بل يحافظ كل واحد منهما على خاصيته لأن بينهما حاجزاً يحول دون اختلاطهما سماه القرآن برزخا. والعلم الحديث أكد هذا الحاجز الدقيق بمقتضى التجربة والاختبار(20).

5) - معارضون للإعجاز العلمي:

وقد اعترض معترضون على ما يظهر في القرآن من إعجاز علمي، أبرز هؤلاء، أبو إسحاق الشاطبي، وقد أقام رفضه للإعجاز العلمي للقرآن على مفهوم الأمية، فالشريعة في نظره ينبغي أن تكون أمية لأنها نزلت في قوم أميين وليس من الحكمة في نظره أن يخاطب القوم بما لا يفهمون وأن يكلفوا بما لا يعقلون... ويؤكد الشاطبي على أن تلك العلوم التي كانت لدى العرب لا تتجاوز حصيلة تجارب الأميين فلا وجه لمقارنتها بما عند الأقدمين مما هو مبني على العلوم الطبيعية(21).

هذا الذي ذهب إليه الشاطبي جعله محل نقد ومؤاخذة، لأن القرآن ليس قصراً على العرب وعلى الأميين، إنما هو دعوة عالمية تخاطب العربي وغير العربي، والأمي والحكيم، زمن النزول وبعده يقول الله تعالى في هذا المعنى: **(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً)**(22) ويقول: **(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)**(23) لذلك اشتد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في الرد على الشاطبي واعتبر الأساس الذي بنى عليه نظريته أساساً واهياً ورده من ستة وجوه. يتعلق الوجه الأول

بمقاصد القرآن الذي نزل لينتقل بالعرب من حال إلى حال من الجهل إلى العلم، ويتعلق الوجه الثاني بطبيعة الدعوى القرآنية الموسومة بالعموم، وتتعلق بقية الوجوه الأربعة بالمعاني القرآنية، فالقرآن لا تنقضي عجائبه ولا يصح قصرها على مبلغ العرب من العلم زمن نزوله(24).

6) – تفنيد آراء المعارضين للإعجاز العلمي:

إن الإعجاز العلمي في القرآن يتمثل في عدم خضوع نصه أي حقائقه، إلى سلطان الزمن. إنها حقائق مطلقة حاضرة، كاملة لا يد للزمان في تكوينها وتنقيحها لتخرج كاملة بعد قطع الأشواط الزمنية التي لا مناص لغيرها من الحقائق من قطعها. وإن المسائل التي وقع الحديث عنها لم تكن في عصر نزول القرآن خاضعة إلى المقاييس العلمية الحديثة التي كشفت عن حقيقة هويتها بالأدلة المنطقية والبراهين الرياضية والقوانين الفيزيائية والكيماوية والحقائق التشريحية.

فكيف نفسر مخالفة القرآن فيها لما كان موجودا في عقول الناس زمن نزوله؟ وكيف نعلل التحاق حقائقه بما لم يتوصل إليه الباحثون إلا بعد أن خاضوا غمار العلوم الحديثة.

وإثبات التفسير العلمي للقرآن لا ينبغي أن يفهم بمعنى كمون النظريات العلمية في آياته بجميع تفاصيلها إنما يقصد به صدق المقالة القرآنية في إخبارها عن الأشياء بحيث لا نجد في ما كشفت عنه العلوم من خصائصها الثابتة ما يتعارض مع ما جاء في القرآن عنها. فأصبح من أسرار الإعجاز القرآني هذه الأسبقية الزمنية في تصوير حقائق الأشياء. فهي التي نفهم بها سرّ تحدّي الإنس والجن بأن يأتوا بمثله، إذ أنهم كلما تقدموا خطوة إلا وكان القرآن العظيم متضمنا لها داعيا إلى تجاوزها إلى غيرها.

المبحث الثاني: النفس ومفهومها في الإسلام

1 – دلالة كلمة النفس ومضمونها:

ورد لفظ النفس في القرآن الكريم في 367 موضعاً. ويدل كل منها على الإنسان ككائن حي ذي أصل واحد، يتكاثر ويكسب ويشتهي ويغضبُ، ثم يجازى على عمله وقد استعملت بدلالات مختلفة نذكر منها:

أ) – الدلالة على الإنسان: قال الله تعالى: **(واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً)(25)**، **(لا تكلف نفس إلا وسعها)(26)**، **(أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في**

الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)(27)، **(قوا أنفسكم وأهليكم ناراً)**(28)، **(وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)**(29).

ب) – الإشارة إلى ضمير الإنسان: أكد الله تعالى أنه خالق الإنسان، وهو الوحيد الذي يعلم خفقات ضميره ووساوس نفسه **(ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه)**(30). وما دام الله خالقنا فهو أعلم بطبيعة نفوسنا ودواخل أعمالنا وجوهر ذاتنا **(ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين)**(31).

وإذا أردنا أن نغير أحوالنا ونبدل أوضاعنا إلى ما هو أفضل. فلابد لنا أن نغير جوهرنا من الداخل **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)**(32).

والمشاؤون ومن يمثلهم من فلاسفة المسلمين يرون أن النفس ليست جسماً ولا عرضاً وليست في مكان ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا لون ولا بعض ولا هي في العالم ولا خارجه ولا مجانبة له ولا مباينة(33).

أما ابن مسكويه فعنده إن النفس ناسوتية والروح لاهوتية، فالنفس هي الأصل في الإنسان، فإذا صقلت بالرياضة وأنواع الذكر صارت روحا ترقى إلى أن تصير سرًّا من أسرار الله عز وجل(34).

كما تحدث أبو حامد الغزالي عن "النفس البشرية" فاستخدم للدلالة عليها ألفاظاً أربعة: النفس، والقلب، والروح، والعقل. وقد خصّ النفس بمفهوم أكثر شمولاً للإنسان وأوسع استعمالاً من مختلف الألفاظ الأخرى(35).

ولقد وردت النفس على صور متعددة فردية وجماعية. وهي تدل أكثر ما تدل على الإنسان ككائن حي، ذي أصل واحد، يتكاثر ويكسب ويشعر وينفعل، كما وردت أحيانا للدلالة على طوية الإنسان وجوهره.

وهكذا فإن النفس الإنسانية كيان لطيف محدّد المعالم، له خصائص السمع والإبصار والاستجابة وهي ليستْ بوهم أو معنى، ولكنها شفافة غير مرئية بالعين المادية المجردة"(36).

قال الله تعالى: **(يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية)**(37).

فنلاحظ توجيه الخطاب بشكل مباشر ومحدّد إلى النفس الإنسانية ولا يوجه الخطاب إلى وهم أو شيء غير ذي كيان محدّد المعالم.ومن توجيه الخطاب نستدلُّ على وجود خاصيّة الاستماع التي تمتلكها هذه النفس. ومن قوله عزّ وجل آمراً لها: **(ارجعي)**

فمعناه أنها قادرة على الاستجابة ... ومن وصفه لحالها: **(راضية مرضية)** نستدل بأن العواطف والأحوال النفسية هي خصائص النفس بالذات وليست لمكون آخر غيرها.

وفي حديث شريف لأبي هريرة رضي الله عنه، أن المؤمن تحضره الملائكة (أي عند الاحتضار) فإذا كان الرجل الصالح، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيّب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، فيعرج بها حتى ينتهى بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان بن فلان، فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيّب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عزّ وجل ... الحديث"(38).

2 – نماذج من خصائص كلمة النفس في الإسلام:

خصائص النفس الإنسانية متعددة:

أ – النفس هي المكلفة شرعا: **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها...)(39)**.

ب – النفس هي التي تشعر وتحس وتتألم: **(كل نفس ذائقة الموت...)(40)**.

ج – النفس هي التي يلهمها الله دوافع الخير ونوازع الشر: **(فألهمها فجورها وتقواها)(41)** وقد أسمع بها الله عز وجل لأنها أعظم ما خلق وخير ما أبدع **(وما سوّاها)(42)**.

د – النفس هي المبصرة: **(بل الإنسان على نفسه بصيرة...)(43)**.

هـ - النفس هي التي تتعلم: **(أولم يتفكروا في أنفسهم...)(44)**.

و – النفس هي التي تشعر بالحاجة والدوافع: **(إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها...)(45)**.

ز – وفي الحديث الشريف: أن النفس بعد انفصالها عن الجسد ترى مقعدها من الجنة أو النار فعن ابن عباس رضي الله عنهما بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قاعدا تلا هذه الآية: **(ولو ترى إذا الظالمون في غمرات الموت...)(46)** ثم قال: "والذي نفس محمد بيده، ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة أو النار... الحديث"(47).

3 – طبيعة النفس:

للنفس علامات سبعة هي: أمّارة، ولوّامة، وملهمة، ومطمئنّة، وراضية، ومرضيّة، وكاملة.

ويتضح من إشارات الغزالي المختلفة في كتابه (إحياء علوم الدين)**(48)** إن أول ما يخلق الله عند الطفل هو النفس الشهوية التي يشترك فيها النبات مع الحيوان، ثم تخلق له النفس الغضبية التي يشترك فيها الحيوان فقط، وأخيرا تخلق له النفس العاقلة التي ينفرد بها الإنسان لوحده. ويكون التطابق على أساس مقابلة الشهوانية مع النبات، والغضبية مع الحيوان، والعاقلة مع الإنسان.

وقال التفتازاني في شرح المقاصد**(49)**: إن النفس تنقسم إلى فلكية وإنسانية وتفسر بأنها كمال أولي لجسم طبيعي آلي.

أما أنواع النفوس التي عرضها القرآن الكريم فهي:

أ – النفس الأمارة بالسوء: تسيطر عليها الدوافع الغريزية، وتتمثل فيها الصفات الحيوانية، وتبرز فيها الدوافع الشريرة، فهي توجه صاحبها بما تهواه من شهوات، ولهذا كانت مأوى كل سوء **(إن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي)(50)**.

ب – النفس اللوّامة: وهي النفس التي تبرز فيها قوة الضمير، فيحاسب الإنسان نفسه كما يحاسب غيره، ولهذا أقسم الله تعالى بالنفس اللوّامة فقال: **(ولا أقسم بالنفس اللوامة)(51)**.

ج – النفس المطمئنة: وهي النفس التي استوعبت قدرة الله وتبلور فيها الإيمان العميق والثقة بالغيب لا يستفزها خوف ولا حزن، لأنها سكنت إلى الله واطمأنت بذكر الله وأنست بقرب الله، فهي آمنة مطمئنة، تحس بالاستقرار النفسي والصحة النفسية، والشعور الإيجابي بالسعادة، فحق لها أن يخاطبها رب العالمين بقوله: **(يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي)(52)**.

المبحث الثالث: الإعجاز النفسي في القرآن الكريم

إن الله عز وجل جعل هذه الشريعة في كلمات، وجعل هذه الكلمات معجزات. فحيثما نظرت في كتاب الله العزيز بنيّة خالصة، وقلب سليم، وجدت وراء كل آية معجزة قاهرة وبرهاناً ساطعاً. يرى ذلك في منطوقها وفي معناها الذي جاءت له. وبهذا يتلقى المسلم أحكام شريعته على أضواء معجزات مشرقة تغمر بنورها الآفاق والأنفس فتنشرح الصدور، وتتفتح القلوب للإيمان **(ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)(53)**.

وعلماء الإسلام أطنبوا في الحديث عن الإعجاز وذكر ألوانه فألفوا في الإعجاز البلاغي والعلمي والعددي والتشريعي.

بيد أن الإعجاز النفسي لا تزال الدراسات حوله نادرة رغم حجته الباهرة المؤثرة على المسلمين والمشركين وتأثير سماعه على المثقف والجاهل والغنى والفقير خاصة ممن لا يعرف اللغة العربية. وذكر بعضهم أن وقع الآية حتى على من لا يفهم العربية له وقع خاص، وذو أبعاد نفسية متميزة، وذلك ما أثبتته شهادات كثير من العلماء ممن لا يتكلمون العربية. وهكذا فإن المعجزة لا تأتى من حرف واحد فقط بل تظهر أيضاً في مخاطبة القرآن للملكات المستورة الأمر الذي ينبئ عن علم تام بخفايا النفس البشرية وملكاتها التي نعرفها والتي نجهلها(54).

ولكتاب الله معرفة بأدق التفاصيل عن النفس الإنسانية التي لا يعلمها إلا خالقها. لذلك كان التأثير النفسي للقرآن عميقاً. والحديث عن النفس في القرآن ذو شعب أبرزها. أولاً: الحديث عن النفس عامة، وثانياً: تأثير القرآن في النفس الإنسانية، وثالثاً: تمزيق القرآن لحواجز النفس الإنسانية، ونظراً لتشعب البحث في قضايا النفس في القرآن فسأقتصر في هذا البحث على تأثير القرآن في النفس الإنسانية(55) أو صنيع القرآن في القلوب كما سماه الخطابي(56) أو الإعجاز النفسي كما أميل إلى تسميته.

1. تعريف الإعجاز النفسي في القرآن الكريم:

تقرأ الكلمات والحروف وترى المعاني، وهي نفسها ذات الكلمات والحروف والمعاني المعروفة في الاستعمال البشري، ولكنها في السياق القرآني تحمل سحراً خاصاً وتؤثر تأثيراً واضحاً في النفس. فهي تنفذ إلى أقطار النفس تخاطب كل نزعة فيها، وقد توجد سورة كاملة حافلة بهذه الإثارات المحركة لوعي الإنسان، المجددة لقواه كلما فترت. ذلك هو الإعجاز النفسي الذي يعتبر أعظم أنواع الإعجاز وهو تأثير لا يعود إلى اللفظ أو بلاغة المعنى وجمال الأسلوب أو براعة النظم وفي ذلك دليل على أن هذا القرآن منزل من عند الله الذي خلق الأنفس ويعلم خفاياها وخباياها. وهذا الإعجاز هو لون من الروحانية تشهد آثارها في السور القرآنية ولا تعلم كنهها. ولها سلطان آسر يملك النفوس ويسيطر على العقول بتقرير الحقائق بالحجج الدامغة حتى لا يبقى للنفس مفر من الخضوع للحق والاستكانة لله عز وجل.

والإعجاز النفسي في آي القرآن هو ما تلمحه في آيات القرآن من حديث عن أصناف الناس ومواقفهم وخفايا نفوسهم ودوافعها، وقد تكون الإشارة إلى أعداء

المسلمين، وقد تصور الآية المشهد فلا تهمل جزئية إلا وترسم معالمها وتخط خطوطها الواضحة البينة(57) وتعطي الحلول المريحة للنفس الإنسانية.

2 – الإعجاز النفسي في الدراسات السابقة:

إن الإعجاز النفسي في القرآن الكريم بالغ التأثير، عظيم الأهمية يتجلى ذلك في سلطانه الروحي على القلوبَ، وسيطرته النفسية على كل من يسمعه من الإنس والجن والكبار والصغار والمؤمنين والكافرين من القدامى والمعاصرين، ولقد اهتم بظاهرة الإعجاز النفسي علماء الإسلام القدامى والمحدثون.

أ) - تأثير القرآن في القلوب عند الخطابي:

وأول من وقف عند هذا الضرب من الإعجاز الخطابي: (ت 388 هـ) (أبو سليمان أحمد بن إبراهيم) وسماه بتأثير القرآن في القلوب يقول: "وفي إعجاز القرآن وجه آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه في القلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها من الخوف والفرق ما تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدوّ للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحّولوا عن رأيهم الأول وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم إيماناً"(58).

وعلل فخر الدين الرازي ذلك التأثير بأن: "المعاني التي يشتمل عليها القرآن فهي أحوال لائقة بجلال الله، فمن وقف عليها عظم الولَهُ في قلبهِ ويرى أيضاً أن قوة نفس القائل تعين على نفاذ الكلام إلى الروح والقائل هو رب العزة، لذلك فإن كلامه أنفذ لأن مدَاره على الدعوة إلى الحق والهدي"(59).

وفي رأي بعض الباحثين أن هذا الضرب من الإعجاز أثر من آثار فنية الكلام التي تملك على الناس قلوبهم، وليس من اليسير تحديده إلا من قبل الوقوف على بلاغة القرآن، وكيف أنه انتظم على هيئة تملك على الناس أفئدتهم ومشاعرهم إلى الحد الذي يتحول فيه قاصد القتل والانتقام إلى داخل في الإيمان عن رضا واقتناع وطواعية(60).

ب) - اهتمام محمد فريد وجدي بالإعجاز النفسي:

ولمحمد فريد وجدي رأي نقد فيه حصر المتكلمين في إعجاز القرآن كل عنايتهم في بيان الإعجاز البلاغي ولكنها ليست الجهة الوحيدة، ولا هي أكثر جهات إعجازه سلطاناً على النفس لأن تأثير البلاغة على الشعور الإنساني محدود لا يتعدى الإعجاب بالكلام ثم يأخذ هذا الإعجاز يضعف بتكرار سماعه حتى تستأنس به النفس فلا يعود يحدث فيها ما كان يحدثُهُ في مبدأ سماعه. وليس هذا شأن القرآن فإنه قد ثبت أن تكرار تلاوته تزيده تأثيراً، لأن في القرآن الموجز المعجز أشياء مكررة في الظاهر كالبسملة وفبأي آلاء ربكما تكذبان(61). والقرآن بمجموعه قوت وقوة للقلوب لا يملّ على التكرار بل يستحلي على الإكثار منه، كذلك في القرآن ما هو روح لذلك القوت كلما تكرر تلألأ وفارت أشعة الحق والحقيقة من أطرافه(62). هذا الضرب من الإعجاز لا يحتاج إلى الكثير من التأمل، وإنما هو روح من أمر الله تعالى كما سماه محمد فريد وجدي استنتاجاً من قوله تعالى: **(وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)**(63). "وهو يؤثر بهذا الاعتبار تأثير الروح في الأجساد، وأما تأثير الكلام في الشعور فلا يتعدّى سلطانه حدّ إطرابها، والحصول على إعجابها"(64) فللقرآن الكريم روحانية خاصة هي قمة إعجازه والسبب الأكبر في انقطاع الإنس والجن عن محاكاة أقصر سورة من سوره، وارتعاد فرائص الصناديد والجبابرة عند سماعه، وناهيك بروحانية الكلام الإلهي، هذه الروحانية التي تنفذ إلى سر سريرة الإنسان وسويداء ضميره، وتستولي منها على أصل حياته، ومهب عواطفه واحساساته، وتخلقه خلقاً جديداً وتصوره بصورة لا يتخيلها ولو قيلت له لما أدركها(65).

ج) - مواطن ظهور الإعجاز الروحاني عند محمد فريد وجدي:

ذكر محمد فريد وجدي مواطن يدرك فيها هذا اللون من الإعجاز:

- يدرك هذا الإعجاز الروحاني عند الطفل والعامي كيف يعتريهما التهيب عند تلاوته ولو بغير صوت حسن حتى أنهما ليكادان يفرّقان بين ما هو قرآن وما ليس بقرآن فيما لو أراد التالي أن يغشّهما(66).
- يظهر هذا الإعجاز الروحاني جلياً عندما تكون آية من آياته جاءت على سبيل الاستشهاد والاقتباس في صفحة كبيرة، فإنك ترى تلك الآية تتجلّى لك بين السطور وخلال التراكيب كأنها الشمس في رابعة النهار مهما كانت درجة تلك الصفحة من البيان ومنزلتها من جمال الأسلوب وجزالة اللفظ(67).

- ويظهر هذا الإعجاز الروحاني للعارف باللغة والجاهل بها، فأما ظهورها للعارف فبيّن لا يحتاج إلى بيان، وأما ظهورها للجاهل بها من الأمم الأعجمية فبتأثيرها ونتيجتها(68).

د) - علماء كثيرون يؤكدون على الإعجاز النفسي للقرآن الكريم:

هناك علماء كثيرون قد لفتوا الأنظار على سبيل الإشارة إلى هذا الضرب من الإعجاز:

من أبرز الذين أشاروا إلى هذا الإعجاز النفسي للقرآن الكريم الرّماني. إذ يستهل بحوثه في الإعجاز بالتأكيد على الآثار النفسية، والأحاسيس والمشاعر المختلفة التي تجلّت فيها براعة القرآن في استخدام وسائل التعبير وفنون النظم حتى بلغ مداه في التأثير.

ويؤكد علماء كثيرون على تأثير القرآن في النفوس مثل الزركشي القائل: "فمنها الروعة التي في قلوب السامعين وأسماعهم، سواء منهم المقر والجاحد، ومنها أنه لم يزل غضاً طرياً في أسماع السامعين، وعلى ألسنة القارئين" وقد سمى الوحي بحياة القلوب واعتبر أن حياة القلوب أعظم من حياة الأبدان(69).

ويكتشف القاضي عياض أن هذه الروعة وتلك الهيبة كانت سبباً في إسلام بعض الكفار من العرب فيقول: "ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته.. وقد أسلم جماعة عند سماع آياته منهم: جبير بن مطعم فإنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور. قال: فلما بلغ قوله تعالى: **(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)**(70) إلى قوله: (المسيطرون) كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي"(71). وذلك دليل على أن الآية تحمل في طياتها إعجازاً نفسياً فهي برهان قوي على وجود الله عز وجل ودليل ساطع عليه.

ويؤكد سيد قطب على تأثير القرآن في النفس البشرية فيقول: "إن في هذا القرآن سراً خاصاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً.. إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هناك عنصراً ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن. يدركه بعض الناس غامضاً ولكنه على كل حال موجود. ذلك سر مودع في كل نص قرآني يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن، ثم تأتي وراء الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله(72).

وعنون صلاح الخالدي فصلا في كتابه "إعجاز القرآن البياني" بـ "التأثير البليغ الأخاذ للقرآن" أظهر فيه النماذج الرائعة والمؤثرة على النفس الإنسانية(73). كما أشار الخالدي في كتابه البيان في إعجاز القرآن إلى حواجز الغيب التي مزقها القرآن وقد أخذ هذا الملحظ من الشيخ محمد متولي الشعراوي(74). يقول الخالدي:"حواجز الغيب التي مزقها القرآن ثلاثة: 1 – حاجز المكان. 2 – حاجز الزمان. 3 – حاجز النفس الإنسانية: وهو ما يخفيه الإنسان داخل نفسه، حيث يكشفه الله للآخرين، ويطلعهم على هذا الحديث النفسي المكتوم(75). ومن أوضح الأمثلة على هذا: كشف القرآن ما في نفوس المنافقين وإخباره للرسول صلى الله عليه وسلم بما سيقوله المنافقون في نفوسهم، قال الله تعالى: **(ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وإذا جاءوك حيَّوكَ بما لم يُحَيِّكَ الله، ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول، حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير)**(76).

لقد عجب المنافقون من إخبار هذه الآية عما في نفوسهم وسكتوا... ولو لم يقولوا لكذبوا الرسول عليه الصلاة والسلام ولأعْلَنُوا أنه يقول كلاماً غير صحيح. وهكذا يبدو واضحاً جليّاً مظاهر الإعجاز النفسي إذ القرآن مزّق حاجز نفوسهم ودخل داخلها وأخبر عما يدور فيها(77).

أولاً: آيات القرآن الكريم في العلاج النفسي:

قال الله تعالى: **(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)**(78)، وقال سبحانه: **(ويشف صدور قوم مؤمنين)**(79)، وقال الله عز وجل: **(يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)**(80)، وقال: **(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء)**(81). وإذا كانت معالجة البدن إنما تكون بالأغذية والأدوية فإن معالجة النفوس إنما تكون بشيء روحاني يجانسها فيقمع ما يثور في النفس من العوارض.

ففي القرآن شفاء، وفي القرآن رحمة، لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان، فأشرقت وتفتحت لتلقى ما في القرآن من روح وطمأنينة وأمن وسلام وموعظة وعبرة.

وفي القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة وفرط الحزن وشدته، فهو يصل القلب بالله، فيسكن ويهدأ ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن ويَرْضى فيستروح الرضا من الله عن الحياة، والقلق مرض، والحيرة نصب والوسوسة داء ومن ثم هو رحمة للمؤمنين، وله تأثير عجيب في النفس الإنسانية: فالقارئ للقرآن يبكي عندما يقرأ آيات تبكيه ويفرح

عندما يتلو آيات فيها فرح وذاك أعظم دليل على الإعجاز النفسي. وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلفة في الشعور والتفكير فهو يعصم العقل من الشطط، ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة ويكفه عن إنفاق طاقته فيما لا يجدي ولا ينفع، ويأخذه بمنهج سليم مضبوط يجعل نشاطه منتجاً ومأموناً ويعصمه من الشطط والزلل. وفي القرآن شفاء من العلل والأمراض الاجتماعية التي تقوض بناء المجتمعات وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها سدى. وقد كان هذا العلاج ملحظاً لابن القيم عندما ذكر أن جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات والقرآن شفاء للنوعين، ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات، مثل القرآن ففيه الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك... وأما شفاء القرآن لمرض الشهوات فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، والتزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة، والأمثال والقصص التي فيها أنواع الاستبصار، فيرغب القلب السليم، إذا أبصر ذلك فيما ينفعه في معاشه ومعاده، ويرغب عما يضره، فيصير القلب محباً للرشد مبغضاً للغي. فالقرآن مزيل للأمراض الموجهة للارادات الفاسدة فيصلح القلب فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها فتصلح أفعاله(82). ثم إن القرآن يذكر الإنسان بأن عليه أن يفكر في طبيعة هذه الدنيا، وأنه لا يصفو فيها لأحد عيش على حسب ما يحب ويريد، فليرضَ بما يخلص لهُ من سعادتها، وهو إذا لم يمرّن نفسه على الصبر فإن الجزع مصيبة عظيمة أيضا، فإذا راض نفسه على التجلد والاحتمال تغلب على المصائب وصار من أهل القوة والحزن والكمال والنبل الذين بقي ذكرهم في القرآن الكريم وصارت فضائلهم ومآثرهم موضع الثناء والتعظيم في آياته وقصصه. وأيضا يجب عليه أن يتأسى بغيره ممن أصابهم ما أصابه حتى يشعر المؤمن أن القرآن يخاطبه وليدرك أيضا أنه ربما كان يمكن أن تكون مصيبته أعظم مما وقع له.

ويبين ابن القيم أن القلب يحتاج إلى ما يغذيه وينميه كما يتغذى البدن سواء بسواء. إنه يزكو بالأغذية المصلحة له والحمية عما يضره، فكذلك القلب لا يزكو ولا ينمو ولا يتم صلاحه إلا بالقرآن. وقد عقد ابن القيم في كتابه القيم: "مفتاح دار السعادة" مقارنة بيّن فيها حاجة الناس إلى القرآن والشريعة فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة... بينما القرآن روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة(83) وإلى هذا المعنى أشار شيخ الإسلام ابن

تيمية(84) فقال: "الدنيا ملعونة مظلمة إلا ما طلعت شمس الرسالة وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الأموات، قال الله تعالى: **(أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)**(85).

ويؤكد ابن تيمية على تشبيه القرآن بالروح، والروح إذا عدم فقدت الحياة. قال الله تعالى: **(وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نوراً نهدي من نشاء من عبادنا)**(86) فذكر في الآية أصلين الروح والنور، فالروح الحياة والنور النور، فقد بين أن الله يضرب الأمثال للوحي الذي أنزله حياة للقلوب ونوراً لها بالماء الذي ينزله من السماء حياة للأرض(87). ويحلّل القرآن في إشارات إلهية معجزه نفسيات بعض الناس، فهو مثلا يصوّر لنا نفسية الملوك وأنهم أفقر الناس لكثرة احتياجهم وأكثرهم قلقاً بسبب كثرة ما يملكونه أو يطمحون إليه، ويصور نفسية الشرير وما يعانيه من القلق وقلة الاستقرار وخوفه من نفْسه بحيث يهْرع إلى أمثاله. وأيضا نفسية الإنسان الخيّر في سعادته بذاته وبما يفعل وفي إيمانه بقيمة الخير وانسجامه مع نفسه ومع غيره.

1. العلاج بالقرآن مظهر من مظاهر الإعجاز النفسي:

إن الالتزام بمنهج الله عز وجل والتمسك بقيم الإسلام يعدّ أقصر الطرق للخروج من الأزمات النفسية والاضطرابات ومظاهر القلق التي حولت حياة الإنسان إلى جحيم رغم ما حققته الحضارة المادية الحديثة من رخاء وتقدم تكنولوجي كبير وأوضح شفاء للنفس الإنسانية مرهون بمدى إيمانها بالله تعالى. وعلى المؤمن أن يوقن بأن الله تبارك وتعالى جعل لكل داء يعرض للأبدان والأنفس دواء ولكل ألم يحدث فيه شفاء.

وقد ثبت تأثير القرآن في العلاج النفسي وذلك أعظم مظهر يدل على إعجازه، وذروة العلاج النفسي في الإسلام هي "الذكر" وذكر الله بالقلب واللسان والجوارح والسلوك والعمل واستشعار الحضرة الإلهية على الدوام وطوال الوقت في كل قول وفعل. وفي الذكر شفاء وأمن وطمأنينة لأن الذكر يعيد الصلة المقطوعة بين العبد وربه ويربط النفس بمنبعها ويرد الصنعة إلى صانعها.. حيث هو الأعلم بغيوبها والأقدر على علاجها، قال تعالى: **(أدعوني أستجبْ لكم)**(88)، **(فأذكروني أذكركم)**(89) فيعود النور ليغمر النفس ويحل العمار مكان الخراب وتتجلى الكلمات الحقانية الإلهية على قلب العبد الخاشع(90). والذكر يهدف إلى تنمية مشاعر الإيمان وتقوية صلة الإنسان بربه وإحساسه بوجوده،

وتوكله وقربه منه، ويرتبط ذكر الله وشكره بإشباع الحاجة إلى الدين وهي من الحاجات المصدرية التي من إشباعها تشبع حاجات نفسية واجتماعية عديدة بها تطمئن النفوس وتسمو الأفكار وتعلو المشاعر وتصلح الأعمال **(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)**(91).

وهكذا فإن النظرة الإسلامية إلى الإنسان تمتاز بالشمول فتجمع حاجات الجسم والعقل والنفس والقلب كوحدة متماسكة فيستفيد المريض من استعداده الفطري وإيمانه القوي بالله عز وجل وعزيمته المتسمة بقوة الإرادة والثقة بالنفس والاعتماد على الذكر والرجاء في رحمة الله عز وجل كل هذه المميزات أكد الباحثون في شؤون الطب فائدتها(92). وذلك يعد أعظم دليل على عمل القرآن في النفوس، فهو يداويها إذا مرضت ويشفيها من كل ما يعتريها. لأن قلوب المؤمنين تستقبل الشفاء النفسي في قراءة القرآن فتستجيب له وتهتدي بهداه فهو يعالج العجب والافتخار ذلك الظن الكاذب بالنفس في استحقاق مرتبة لا تستحقها خاصة والفضل مقسوم بين البشر كل منهم يتكامل مع غيره، ولا يكمل أحد من الناس ألا بفضائل غيره، ومن كانت فضيلته عند غيره لا يصح أن يعجب بنفسه. وفي الافتخار بالخيرات الخارجية، أي الماديات والمظاهر، فهو لا يصح لأنها عرضة للزوال والتغير والآفات. ويضرب القران مثلاً بقصة الرجلين اللذين كان لأحدهما جنتان، كل منهما آتت أكلها، ففاخر صاحبه بما يملك واغترّ بنفسه وبما ملك، فجاءت كارثة أهلكت ما عنده. فقال تعالى: **(واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا، كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا، وفجرنا خلالهما نهرا، وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرا... وأحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا)**(93).

والآية التي تشبّه الحياة الدنيا بنبات يظهر ويزدهر ثم يصبح هشيما تذروه الرياح **(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شي مقتدراً)**(94).

ومن العوارض النفسية التي يداويها القران وساوس الصدر وأحاديث النفس، وهي من أقوى أمراض النفس وأشدها تأثيرا في الإنسان وإيذاء له.

وهذا العلاج النفسي ذو التأثير العجيب يتم العلاج به بشرط الاستجابة بل إن صلاح القلب في مثل هذه الحالات النفسية وسعادته موقوف على الذكر وتلاوة القرآن، قال تعالى: **(إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر به من كان حيا)**(95) فأخبر عز وجل أن

الانتفاع بالقرآن والإنذار به إنما يحصل لمن هو حي القلب، كما قال في موضع آخر: **(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب)**(96)، وقال سبحانه: **(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)**(97) فأخبر سبحانه أن حياتنا إنما هي باستجابتنا لما يدعونا القرآن إليه من الإيمان والعلم(98). وذلك لأن من أحدث طرق العلاج النفسي لدى الأطباء السلوكيين هو تدريب المريض النفسي على الاسترخاء في أي موقف يكون فيه وذلك في جلسات متكررة فإذا غضب مثلاً وهو واقف طلب منه أن يجلس ويسترخي حتى يذهب عنه الغضب وهذا ما يسمى بتشكيل السلوك وهو ما علمنا إياه الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب فليضطجع"(99).

وليست الصلاة شفاء نفسياً عن طريق ممارسة العلاج النفسي فحسب بل إن الوضوء نفسه شفاء ويزيل الغضب عن الإنسان وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "إذا غضب أحدكم فليتوضأ"(100).

وقد اكتشف العلماء في عصر العلم الحالي أن سقوط فوتونات الضوء على رذاذ الماء المتناثر في الهواء وتلك الشحنات السالبة هي شحنات كهرومغناطيسية تسبب الاسترخاء النفسي والعضليَ، وبالتالي تزيل أي توتر عصبي أو نفسي أو غضب. من هذا ندرك أن الوضوء علاج نفسي عظيم لابد منه لتحضير المسلم لأداء الصلاة وهو هادئ النفس بل لا تصحّ صلاة بغير وضوء، والله تعالى يقول: **(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)**(101).

قد يتساءل بعض الناس فيقول أنا أصلي وأقرأ القرآن الكريم ولكني لا أزال أعاني من التوتر العصبي. والجواب أن الخلل ليس في محطة الإرسال بل في الجهاز المتلقي، فهو محتاج إلى إصلاح حتى يستجيب لموجات محطة الإرسال. وكذلك قلوب البشر، تستقبل الشفاء النفسي في الصلاة وقراءة القرآن فتستجيب له وتهتدي بهداه، أما القلوب المريضة فهي بحاجة إلى إصلاح بل في أشد الحاجة إلى نفحة إيمانية صادقة وقراءة قرآنية واعية(102).

وفي السنة النبوية عليكم بالشفائين العسل والقرآن(103).

2. القرآن علاج نفسي:

فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم العلاج المادي المتمثل في العسل وقد ثبتت له خاصيات عجيبة، يعرف نفعه من أحسن التداوي به، وثنّى بالعلاج النفسي القرآن الذي

أثبتت تلاوته بخشوع تأثيره في الأمراض النفسية والجسدية فيتأثر ما في البدن من إفراز بحالات الاكتئاب والقلق أو الفرح والسرور.

هذا العلاج النفسي بالقرآن فيه دليل على الإعجاز. وقد تناول القرآن النفس من جميع جوانبها. يقرأ في حالة الحزن فتطمئن النفس، وفي حالة الفرح، ترتاح إليه، وهكذا يحدث الأثر البليغ على النفس الإنسانية فيمسها من جميع أقطارها فيؤثر فيها تأثيراً عجيباً. وهكذا كلما قرأته بعث فيك اطمئناناً وأملاً وتطلعاً وأبعد عنك اليأس وأخرجك من الذهول.

كما يتضمن القرآن معاني التجلّد والرضا والتفاؤل، فمن يتجّلد على ما يكره من المصائب ويرضى ويحتسب أفضل وفي الحديث الشريف: "…. وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر"**(104)** ذلك لأن الأعراض النفسية مثل الغضب والغّم والخوف والجزع كثيرا ما يتعرض الإنسان لها ويبين القران في سياق الآيات الكثيرة مبلغ حاجة الإنسان إلى علاجها، لأن حالات نفسية الزم للإنسان وأكثر تعرضاً لها. وقد يسلم الإنسان من الأعراض المرضية للبدن أما الأعراض النفسية فإن الإنسان مدفوع في أكثر أوقاته إلى ما يتأدّى به منها، إذ ليس يخلو في أكثر أحواله من استشعار غمّ أو غضب أو حزن، قلّ ذلك أو كثر كل بحسب ظروفه ومزاجه وحساسيته. قال تعالى: **(ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه)(105)**.

وهكذا ترى القرآن قد اشتمل على الترغيب والترهيب والوعد والوعيد للتأثير على النفس الإنسانية وتربيتها بالأحداث وعرض الحلول الإنسانية من خلال الوقائع الماضية والحاضرة وفي المستقبل، والمفاهيم الإسلامية مثل مفهوم القضاء والقدر الذي يمتاز بأثر نفسي عظيم، ومعنى قضاء الله وقدره عز وجل ليس استسلاماً للعجز والانهزامية بل يدعوك للأخذ بالأسباب فتنشط النفس لتعيد الكرة مرة أخرى. وهكذا يمضي ركب الحياة وهو يعرض صورة الإنسان مطلق إنسان من خلال مشاهد القرآن برغباته وغرائزه وتفاؤله وتشاؤمه. فإذا أردت الإنسان الأمثل تحددّ لك الضوابط الشرعية السلوك الإنساني، وإذا عرض لك حدث تستشرف من كتاب الله الحلول لمختلف الصعاب والعقبات.

حتى الظروف الصعبة يرسمها القرآن ويطرد التشاؤم منها بما يسمى قانون الاحتمالات، فلكل مشكلة احتمالات في حلها، وعلى الإنسان أن يحضر نفسه لشتى

الاحتمالات(106) فلن يصيب الإنسان إلا ما كتب الله له. فلا يستبطئ الرزق ولا يستعجل النجاح، ولا يقلق على المستقبل فكل إنسان لن يخرج من هذه الدنيا حتى يستوفي رزقه، قال صلى الله عليه وسلم: "وأعلم أن الأمة إذا اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك"(107) فنهج الله يحقق للإنسان الاستقرار والسعادة في الدنيا فضلاً عن الفوز بالجنة والنجاة من النار في الآخرة، وشفاء النفس الإنسانية المعاصرة مرهون بمدى إيمانها بالله وكل العبادات والفرائض الإسلامية تحقق الأمن والطمأنينة لمن يؤديها بإيمان وإخلاص. قال الله تعالى: (**ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا**)(108).

والإنسان عندما يرضى بما قسم الله له من رزق ومن صحة ومواهب ولا ينظر بعين الحقد والحسد للآخرين يكون قد جلب لنفسه الطمأنينة والرضا... لأن الله قد وزع الأرزاق والمواهب وفق ميزان دقيق، فالله لا يسلب من أحد ميزة إلا أعطاه ميزات، وجوهر السعادة في الحياة أن يرضى الإنسان بقدر الله، أما عدم الرضا بقضاء الله فإنه يورث الشقاء والتعب النفسي.

وأمر آخر وثيق الصلة بالصحة النفسية وهو صحة البدن لان الإنسان قوامه بنفسه وبدنه فبينهما علاقة تكاملية يشتركان في كل شيء ويتأثر أحدهما بالآخر فالسقم والألم البدني يعطل في النفس الفهم والإدراك والمعرفة والآلام النفسية تؤدي إلى الأمراض البدنية.

وهكذا فإن المتأمل في القرآن يجده يشكل مصدر سعادة للإنسان، لأنه يرسم منهج حياة فاضلة تعنى بتحقيق التوازن النفسي داخل الفرد، وتعنى بتنميته جسدياً ونفسياً وعقلياً وروحياً، فتجعل له مناعة نفسية لمختلف العقد والمركبات من خلال عرض المشاهد الحياتية والمواقف التربوية من الأحداث والعبر التي رسمها القرآن(109). قال تعالى: (**ألاَ يعلمُ من خلق وهو اللطيف الخبير**)(110).

حقاً إن قوة الإيمان تتصدى للمشاكل النفسية التي يعانيها الإنسان، فكلما استعصت مشكلة يطلب حلها من خلال الرجوع إلى القرآن فتذلل الصعاب وتزال العقبات.

لذلك كل من يقرأ القرآن لا يلاحظ فجوة بين ما يقره القرآن من الحقائق وما في طبيعته البشرية وبالتالي سرعان ما تحصل المواتاة أو التوافق بين ما هو مسطر في القرآن وبين الفطرة الإنسانية. قال الله تعالى: (**الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً**

مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، ومن يضلل الله فما له من هاد)(111).

وللقرآن تميز خاص بتأثيره على النفوس وهذا التأثير الأخاذ البليغ يدل على أن القرآن كلام الله وله سلطان خاص على الفطرة – متى خلى بينها وبينه لحظة، وحتى الذين رانت على قلوبهم الحجب... تنتفض هذه القلوب تحت وطأة سلطان الكتاب العزيز(112). قال تعالى: **(واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه)**(113).

والقرآن الكريم يخاطب الفطرة البشرية وهي عامة في جميع الناس وطبيعتها لا تختلف في قوم عن الآخرين والكتاب الذي يفي بحاجات الإنسانية هو كتاب الله العزيز لأنه يفي بالمفاهيم الضرورية للفطرة. ولو أن الإنسانية تجردت من هواها وجلست في شبه مؤتمر عالمي تتفق على المفاهيم التي تقيم العلاقات بين الدول والأفراد على الحق والعدل والحرية والمساواة لوجدت نفسها مع القرآن وجهاً لوجه سواء أعلنت اعتقادها أم لم تعلن ذلك. لذلك كان القرآن ينسجم مع الفطرة الإنسانية أو الفطرة الإنسانية تنسجم مع ما ورد في القرآن، بمعنى أن النفس إذا تجردت من هواها التقت بالقرآن بصفة طبيعية واستجابت لمعانيه الخالدة فتحس كل نفس بشرية أنه يخاطبها وعند قراءته من جميع الناس من مختلف الطبقات يحدث تأثيره فيها الغني والجاهل والعالم. وهو يلائم جميع المناطق الحارة والباردة وجميع المستويات الغني والفقير والعالم والجاهل وكل الأزمنة. وهكذا نجد القرآن في كل ما حرم، وما أحل مراعياً للفطرة، منبهاً على جميع عوامل الكمال النفسي معداً الغرائز لقبول كل ما هو حق، مبطلاً جميع عوامل الفساد.

ولا يحد القرآن من اتجاه الغريزة إلا إذا تعارضت مع غريزة أخرى، وكان أثر هذه الغريزة الأقرب أجدى على النفس وأعود عليها بالنفع في دنياها وأخراها(114).

ولقد لبى الإسلام الحاجات النفسية ودعا إلى المحافظة على الحياة وحب البقاء وعدم الاعتداء لخلق مجتمع سعيد قاعدته الصلبة الإيمان بالله تعالى، لتحقيق السعادة ولأنه بهذه الطاعات والبيانات يتخلص من الصراع الداخلي وينتقل من الالتفات إلى الذات نحو مرحلة تجاوز الذات ثم الاندماج في عظمة التصريف الإلهي للموجودات والتصرف فيها وذلك بأعمار الكون وتحقيق مبدأ الاستخلاف الذي أناطه الله تعالى بالإنسان.

ثانياً: وقائع تثبت الإعجاز النفسي للقرآن الكريم ونفاذه إلى أقطار النفس الإنسانية:

هناك وقائع وشواهد تثبت الإعجاز النفسي واضحاً جلياً منها:

أ) - تأثر النجاشي وقساوسته لما قرأ عليه جعفر بن أبي طالب في الهجرة الأولى إلى الحبشة، صدراً من (كهيعص) فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته حتى اخضلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم(115). ثم أرسل النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين عالماً من علماء النصارى فقرأ الرسول عليهم سورة (يس) فبكوا وآمنوا(116) وإلى هذا يشير قوله تعالى: **(وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)**(117). فما هذا البكاء إلا دليل على الإعجاز النفسي وخاصة وهؤلاء القوم ليسوا من أهل العربية، فكان التأثير فيهم نفسياً.

ب) - ومن صنيع القرآن بالقلوب وتأثيره في النفوس ما يبدو في خروج عمر بن الخطاب عندما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم لينال منه أو يقتله وبلغ دار أخته وسمعها تقرأ سورة (طه) ووقع في سمعه من آي القرآن، لم يلبث أن آمن، وفي رواية رقّ قلبي لما سمعت القرآن فبكيت ودخلت الإسلام. ورقة القلب دليل واضح على الإعجاز النفسي.

ج) - وصنيع القرآن في النفوس يتجلى لما سمعته الجن لم تتمالك أن قالت: **(إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به)**(118) فأعظم به من تأثير وأزكى به من إعجاز يفعل سحره في النفوس ويلامس إعجازه شغاف القلوب فتلين وترق وتسمو رغم ما غرقت فيه من عوالم الجاهلية والخشونة والرعونة. وهذا التأثير في الجن أعظم دليل على الإعجاز النفسي.

ثالثاً: صنيع القرآن في نفوس غير العرب:

■ ما يتجلى فيما كتبته: ماري ويلدز البريطانية في كتاب بعنوان: رحلتي من الكنيسة إلى المسجد، لماذا؟ سجلت هذه المرأة ما فعلته بها "رسائل النور" لـ بديع الزمان سعيد النورسي(119): وهي رسائل ضمنها المؤلف معاني من القرآن والسنة حول أسئلة تحير الإنسان في الإجابة عنها تقول الكاتبة: "لقد نجوت من تلك الحفرة المظلمة التي كنت أشعر بها وانزاحت عني غشاوتها واحدة بعد الأخرى بمعاونة أصدقاء مسلمين في الجامعة وصبرهم علي ومؤازرتهم إياي... لقد تعلمنا لغة جديدة للتفاهم مع الدنيا والكون هي لغة القرآن"(120).

وواضح تأثير القرآن على النفوس وسلطانه السحري على القلوب، والأهم من كل ذلك إجابته عن الأسئلة التي تحير الإنسان في الإجابة عنها حول المبدأ أو المصير،

والغاية من الحياة والمعبر عنها: من أين وإلى أين ولماذا؟ الأسئلة التي حيرت العقول وتعددت الإجابات عليها في صور شتى ومذاهب متنوعة.

■ ومن صنيع القرآن في نفوس غير العرب: حادثة المرأة اليوغسلافية النصرانية التي أورد سيد قطب قصة تأثرها بآيات القرآن ذلك لأن: "الأداء القرآني يمتاز ويتميز عن الأداء البشري بأن له سلطاناً عجيباً على القلوب، حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً"(121).

ولقد استمعت هذه المرأة إلى خطبة فيها نصوص قرآنية وقد تبينت من خلال إحساسها بروعة معاني بعض الآيات القرآنية واختلافها في السياق عن غيرها من الكلام: آيات أكثر موسيقية وأعمق إيماناً. وهذه الفقرات كانت تحدث رعشة وقشعريرة في نفسها عندما تسمعها(122). أليس هذا إعجازاً نفسياً لهذه المرأة التي لا تعرف العربية الفصحى؟.

■ ومن صنيع القرآن في قلب شارون الأمريكية: ما روت عن بداية حياتها مع أهلها، ومع الكنيسة والأناجيل والقساوسة، وإنها كانت فتاة مشاكسة متمردة على الجميع، وحتى تحصل على الهدوء والطمأنينة طلبت من الله أن يرزقها مسيحياً متديناً تتزوجه، فساق الله لها رجلاً فلسطينياً مسلماً، وأسمعها القرآن فأحسّت بطمأنينة لم تشعر بها من قبل فقادها في النهاية هذا الشعور إلى الإسلام بعد أن حاربت إسلامه وقرآنه، ولكنها تأثرت بالقرآن بعد ذلك ودخلت في الإسلام(123). ولقد تغلغلت المعاني القرآنية في نفسها فوجدت طمأنينة وراحة نفسية لم تشهدها من قبل في حياتها. فذلك أعظم مظهر للإعجاز النفسي.

■ ومن صنيع القرآن في القلوب ما روته "ديبورا بوتر" أمريكية تخرجت من فرع الصحافة بجامعة ميتشيغان قالت: "عندما أكملت القرآن الكريم غمرني شعور بأن هذا هو الحق الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق والحياة وغيرها. وأنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية. أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هي الحقيقة، وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة"(124) ذلك هو مظهر من مظاهر الإعجاز النفسي يتبدّى فيمن استجابت فطرتهم لما في الكتاب العزيز من المعاني السامية..

■ ومن صنيع القرآن في القلوب: ما روي عن فيدور إيفان جفربوز، فنزويلي الجنسية يقول عن نفسه إنه كان مسيحياً كاثوليكياً سئم من ديانته فدرس البوذية

والهندوكية وحصل له منها نفس الانطباع، ولكن لما اطلع على بعض ما كتبه المنصفون عن الإسلام وقرأ ترجمة أمينة لمعاني القرآن الكريم فوجد تعبيراً دقيقاً عن أعماق نفسه، بصورة مطابقة لفطرته التي تذكرها وهو يتدبر في معانيه، ووجد فيه تلبية لكل حاجاته الروحية لذلك قرر أن يعتنق الإسلام باسم فارض رحمه الله(125)، وما يتجلى في أحوال هذا الشخص دراسته للأديان ومقارنته بينها، ثم يتضح تأثر نفسه بمعاني القرآن الخالدة فاستجابت فطرته للقرآن، لأنه لبى حاجاتها الروحية وأجاب عن أسئلتها الملحة على النفس البشرية. وذلك أعظم مثال للإعجاز النفسي يتجلى أثره أمام الأنظار مسجلاً بطرق ثابتة لا شك فيها.

■ ومن صنيع القرآن في القلوب، وتأثيره في النفوس هذه الكثرة من كبار المثقفين والفنانين الغربيين التي أصبحت تدين بالإسلام وتدعو إليه واعتبر ضالتهم المنشودة. الأمر الذي أقلق مؤسسات يهودية كبرى في الغرب، لأن اعتناق شخصيات فلسفية مثل رجاء جارودي أو فنية مثل يوسف إسلام أو سياسية مثل مراد فهمان أمر له تأثيره على الرأي العام الغربي، لذلك انبرت هذه المؤسسات المشبوهة وهاجمت معظم الذين انخرطوا في هذا الدين الحنيف علاوة على قيامها بنشاط دعائي هدفه تشويه صورة الإسلام في الغرب واعتباره ديناً لا يعتنقه إلا الإرهابيون.

ولا تخفى على أحد قصة الحملة على المفكر الفرنسي روجيه جارودي الذي اعتنق الإسلام، وقدم إلى المحاكمة بدعوى ذم السامية. وهذا المفكر سبب اعتناقه للإسلام: إعجابه بالقرآن وتأثيره النفسي عليه. وهو من مواليد 1913 بمدينة مرسيليا بفرنسا، اعتنق الماركسية، ثم أصدر في عام 1982 كتاب "دين المستقبل" وكان تمهيداً لإشهار إسلامه. وبتاريخ 2 تموز 1982 الموافق 11 رمضان 1402 هـ أعلن إسلامه، وصار من أكبر المنافحين عن دينه(126). وذلك بتأثير الإعجاز النفسي للقرآن الكريم والإجابة الحاسمة لقضايا الإنسان حول الحياة والكون والمصير، ذلك ما يظهر في مؤلفاته عندما ينافح عن القرآن ويدافع عن الإسلام.

■ ومن تأثير القرآن على النفوس: ما يظهر عند أبرز الأسماء التي اعتنقت الإسلام مثل المغني البريطاني كات ستيغنز أو يوسف إسلام كما صار يدعى في الإسلام. اعتنق الإسلام عام 1977 بعد أن تعرف على الإسلام عن طريق شقيقه الذي أهدى إليه نسخة من القرآن الكريم عام 1975، فسحرت نفسه بهذا الكتاب الرائع الذي أجاب عن كل الأسئلة التي حيرت عقل أشهر مغني "البوب" في العالم في السبعينات. إنه كتاب يتمشى مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الإنسان عليها ونطق بالشهادتين عام

1977، وصار من أكبر المنافحين عن الإسلام ضد تخرصات سلمان رشدي في آياته الشيطانية. لقد صرح يوسف إسلام بقوله: "لقد اهتديت إلى طبيعة هذه الرسالة السرمدية. وعرفتها من خلال الكلمات الخالدة الموجودة في هذا الكتاب العظيم"(127) وهذا الأمر يظهر في جلاء الإعجاز النفسي الذي انطبعت به روح هذا الفنان من خلال المعاني السرمدية التي ملكت عليه روحه وقلبه وعقله.

■ ومن أبرز رجال السياسة المفكر الألماني مراد فهمان المولود في 1931، سفير ألمانيا بالمغرب، أعلن إسلامه سنة 1980، وأحدث إسلامه ردود فعل واسعة خاصة وقد ترك العمل الدبلوماسي وتفرغ للدعوة في تركيا. لقد أثرى المكتبة الإسلامية بمجموعة من الكتب التي كان لها تأثير واسع وخاصة كتابه: "الإسلام هو البديل" الذي أكد فيه أن الإسلام ستكون له السيادة في المستقبل وقد ردّ به على كتاب فرنسيس فوكوياما المسمى "نهاية التاريخ" ولقد ذكر فيه عوامل كانت وراء دخوله الإسلام منها:

- عقيدة الجهاد عند المسلم وكيف تعمل هذه العقيدة عملها في نفس المؤمن فتدفعه إلى الفداء بنفسه في سبيل قضايا دينه وأمته وقد ضرب مثلاً بحرب التحرير في الجزائر وقد كان شاهداً على ذلك إبان سنوات عمله الديبلوماسي بالجزائر حيث يبرز أثر قراءة القرآن في قلوب المؤمنين، وكان يحس بطمأنينة وسكينة غريبة عند سماعه لتلاوة القرآن وقد قادته أحداث الجزائر إلى قراءة القرآن في العام 1961 والتأمل في معانيه.
- لقد كان يشعر في صلاته بهدوء نفسي عجيب لا تضارعه حركة أخرى في الحياة.
- لقد شعر براحة نفسية عندما قرأ لمفكرين مسلمين مثل ابن خلدون فقد وجد أجوبة شافية لكثير من القضايا الفكرية أزالت الحيرة عن نفسه.
- لقد برزت له عظمة الفنون الإسلامية في أسبانيا واستنتج منها عظمة الحضارة الإسلامية.

فلقد كانت عوامل مختلفة قادته إلى الإيمان بالإسلام وإدراك ما فيه من عظمة وما في كتاب الله الخالد من المعاني والقيم التي تسمو بالإنسان وتجعله يضحي بنفسه كما شاهد ذلك في حرب التحرير بالجزائر عندما كان سفيرا لبلاده بها.

■ ومن أشهر العلماء الفرنسيين والغربيين الذين اعتنقوا الإسلام الكابتن جاك أيف كوستو (1910 – 1997)، عالم البحار الشهير ورئيس معهد البحار في باريس،

وصاحب سفينة الأبحاث ذائعة الصيت كاليبسو، ولقد أشار إلى التأثير السيكولوجي للقرآن الكريم، ويعترف هذا العالم الذي عمت شهرته القارات الخمس أن البحر جعله يدرك الحقيقة الإلهية بكل صفاء، واكتمال، وشمولية، يقول: "فاعتنقت الإسلام، وهل بغير نور الإسلام تتجسد الحقيقة الإلهية؟" ويقول كوستو العاشق لأعمال البحار: "إنني أقرأ سورة الفاتحة المباركة قبل أي عملية غطس، وهذا ما يجعلني أشعر بطمأنينة لا مثيل لها، ويحدث غالباً أن أردد آيات قرآنية وأنا في أعماق البحار، وخصوصاً عندما تواجهني المصاعب. ويردف كوستو: "هناك شيء أسميه الإعجاز السايكولوجي في القرآن الكريم أعتقد أن لا أحد من المفكرين المسلمين في الشرق كما في الغرب قد تناوله"**(128)** فلقد بيّن هذا العالم الشهير أثر القرآن النفسي وليس بعد هذا البيان بيان أشفى منه في هذا المجال.

■ ومن أبرز الأسماء التي أحدث إسلامها دوياً: ليو بولد فايس الذي صار اسمه: محمد أسد (ولد 1900، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره قام بزيارة للشرق الأوسط واكتشف في الإسلام عالماً رحباً بعد أن خاب أمله في دين آبائه وأجداده اليهود. فأعلن إسلامه في برلين أمام شاهدين ورجل هندي يتزعم الجالية الإسلامية في المدينة، وقال محمد أسد: إنه دخل في الإسلام، لأنه وجد فيه حقيقة تتجاوزه شخصياً، حقيقة شعر بنفسه منجذبا إليهاّ انجذاباً لا يقاوم**(129)**. والإسلام في نظره بناء شامل متكامل لا يشوهه أي عيب قد صممت جزئياته وتآلفت فصارت تكمل بعضها بعضاً. ذلك مظهر جلي لانجذاب نفس هذا المفكر لمعاني هذا الدين الخالد من خلال كتاب الله العزيز. وهذا الانجذاب كما عبر محمد أسد هو عين الإعجاز النفسي في القرآن الكريم.

■ وأبرز تأثير نفسي للقرآن الكريم برز عند المفكر ناصر الدين الذي كان يدعى "الفونس اتيين دينييه" ولد في باريس 1861، وقد خصص حياته لنصرة الدين كما سمى نفسه، توفي بباريس سنة 1929 ونقل جثمانه إلى الجزائر حيث دفن في المقبرة التي بناها لنفسه ببلدة بوسعاده تنفيذاً لوصيته**(130)**.

لقد درس الإسلام في عمق، ودرس المسيحية بعمق، وقام بموازنات دقيقة بين الديانتين وانتهى إلى أن الإسلام أتى مصدقاً لما سبقه مصححاً لما نال الكتب السابقة من التحريف مهيمناً عليها وقد وعد الله بحفظ كتابه المقدس **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(131)** فالقرآن في العصر الحاضر هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم ينله ولن يناله التحريف أو التبديل.

وقد أحسن ناصر الدين دينيه الفرنسي المسلم في حديثه عن أسلوب المستشرقين وموازينهم في الحكم على الأشياء مما جعلهم يتناقضون في أحكامهم كل ذلك لأنهم حاولوا أن يحللوا السيرة المحمدية وتاريخ ظهور الإسلام بحسب العقيدة الأوروبية فضلوا بذلك ضلالاً بعيداً لأن هذا غير هذا، ولأن المنطق الأوروبي لا يمكن أن يأتي بنتائج صحيحة في تاريخ الأنبياء الشرقيين.

وفي رأي ناصر الدين كان على المستشرقين أن يسدوا الهوة السحيقة التي تفصل بين عقليتهم الغربية والأشخاص الشرقيين الذين يترجمونهم، وإنهم بدون هذه الملاحظة جديرون بأن يقعوا في الوهم في كل نقطة(132).

■ وممن كرس جهوده لعظمة القرآن العلمية والنفسية الطبيب الفرنسي موريس بوكاي: ولد سنة 1920 واعتنق الإسلام، وأصدر كتابه: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم(133) دراسة مقارنة بين القرآن الكريم والكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. وسجل عدة ملاحظات على الكتب الثلاثة وأثبت أن القرآن جاء بشواهد علمية منذ أربعة عشر قرناً وأكدها العلم الآن. وهو ما يثبت أنه تنزيل من الله تعالى وأنه الوحيد الذي لم يمسه التحريف والتعديل ورغم أن هذه معلومات بديهية بالنسبة لنا كمسلمين إلا أنها تعد "إضافة" بالغة الأهمية للعقل الغربي(134).

وإسلام موريس بوكاي أحدث دوياً هائلاً في الغرب خاصة وقد قارن المؤلف في كتابه بين الإنجيل والقرآن وأظهر ما في القرآن من حقائق علمية باهرة ذات أثر نفسي غير خافٍ على أحد. والكتاب معروف في الأوساط الغربية واشادته بمعاني القرآن كان أمراً لافتاً لأنظار العالم.

■ وممن تأثر بالقرآن ورشح الإسلام كمنقذ للبشرية عبد الله اليسون الإنجليزي رئيس قسم الهندسة الإلكترونية – بجامعة لندن، أسلم أثناء انعقاد المؤتمر الدولي للإعجاز العلمي والطبي في القرآن الكريم في القاهرة في 11 محرم إلى 13 منه سنة 1406 هـ، ويقول: "إن العالم المادي اليوم في مأزق خطير وما يقولونه لا يفسر الحقيقة تماماً وإنهم يبحثون عن العودة إلى الدين والبيان الصحيح الشامل وهذا العبء على المسلمين، وهذا واجبهم، وواجب مفكريهم في التقدم إلى البشرية الحائرة التائهة بالحلول الإسلامية السليمة"(135). لقد كان يسمع في المؤتمر الطبي إلى ما أشار إليه القرآن الكريم من حقائق علمية وطبية انبهر بها وأعجب فوجدت في نفسه وروحه منزلة أثيره عنده.

وشخصية علمية مرموقة تعلن الإسلام في المجتمع الغربي أمر له أبعاد خطيرة ويدل على ما اشتمل عليه القرآن من تأثير نفسي وعقلي في ضوء الحقائق العلمية والطبية.

إن كل هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام شعروا بسكينة نفسية عجيبة وقد صرح كثير منهم بقوله: عندما اقرأ القرآن أحس كأنه يخاطبني، وأحس بطاقة دافعة إلى العمل، كما أحس بعزيمة قوية على الصبر والجهاد وما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض القرآن له بالهداية وسداد التوجيه.

إن القرآن يرد الصواب إلى أولئك جميعاً، وكأنه عرف ضائقة كل ضيق، وزلة كل زلل، ثم تكفل بإزاحتها كما يعرف الراعي أين تاهت خرافه، فهو يجمعها من هنا وهناك ولا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحد منها.

قال تعالى: **(ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل)**(136) والمقصود أن القرآن يملك على الإنسان نفسه بالوسيلة التي تقهر تفوقه في الجدل أي بتقديم الدليل المفحم لكل شبهة وتسليط البرهان القاهر على كل حجة، وإن أسلوب القرآن في استلال الجفوة من النفس أو إلقاء الصواب في الفكر أوْفي على الغاية في هذا المضمار، وأعظم به من حجة في هذه السبيل.

■ وهكذا نرى شخصيات فكرية وثقافية انخرطت في الإسلام: نذكر أسماء منها مثل: "جان ماري دوران سوفلان" الباريسي الذي يعتبر من أبرز كتاب صحيفة "لوموند" و"ايف ليسور" المثقف والسياسي المعروف و"رينيه غينون" الفيلسوف الراحل وصاحب المؤلفات العديدة، وثمة أسماء أعلام دخلت الإسلام وراحت تبشر بعظمته وبكتابه المعجز وبأثره النفسي على العباد. فيه ذكر الكثير مما يلم بالنفس البشرية في هذه الدنيا من عوارض شديدة الوقع على الإنسان: الألم والخوف والغم والهم والحسرة والندامة وفيه الفرح والخيلاء والتمني والرجاء.

الخاتمة

إن الإعجاز النفسي ظاهرة في القرآن تتطلب الرصد وتدعو إلى التأمل وسيبقى القرآن بها وبغيرها من مظاهر الإعجاز المتعددة معجزة خالدة، تتحدى العالم بمعطياتها الخارقة وبأثرها البليغ على النفس الإنسانية. وعلى غيرها من الموجودات، قال الله تعالى: **(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)**(137).

وهذا التأثير البليغ على النفس الإنسانية، يدل دلالة قطعية على أنه كلام الله. فهو يتغلغل في النفوس ويوقظها فتنفتح العيون على الكون برؤية جديدة وإدراك جديد. وما هذا الكسب العظيم لهذا الكتاب الخالد إلا لروح القرآن التي صنعت المعجزة بين قوم عجزوا عن معارضته فأسلموا له القيادة، وبدأت بعد ذلك مسيرة القرآن في العالم الناطق بمختلف الألسنة واللغات واكتشف الناس من مختلف الطبقات والأجناس والألوان من أسرار القرآن ومن دلائل إعجازه وعظمته ما يفوق الوصف والخيال.

لذلك رصدوا إعجازه بمظاهره المتنوعة، ووقفوا عند هذا الإعجاز النفسي منذ نزول القرآن فتأثر به المشركون والمؤمنون على السواء وامتد الأثر إلى العصر الحديث فأحدثت معاني القرآن في عظماء الإنسانية أثراً عميقاً أعلنوا إثرها عن الدخول في الإسلام وقد آن الأوان لتدبر هذه المعاني السامية والقيم العليا من خلال دلائل الإعجاز النفسي.

وقد حرصت في هذا البحث على أن أقدمه بمقدمات لفهم الإعجاز كما مهدت بذكر ألوان الإعجاز توطئة لفهم الإعجاز النفسي، وقد أظهرت هذه الدراسة ما يمتاز به الإعجاز النفسي من أثر بالغ العظمة في العلماء الأفذاذ والأجناس المختلفة وذلك يعد أعظم دافع لحفظ القرآن والاستماع إلى تلاوته والتفكر في معانيه ليحدث المطلوب وليبدو الإعجاز ظاهراً للعيان وليحدث صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس.

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

1. الأصفهاني الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص:547.
2. التفتازاني (مسعود بن عمر بن عبدالله 712هـ - 793)، شرح المقاصد (بيروت: عالم الكتب 1409-1989)، جـ: 5، ص: 11.
3. الشهرستاني، الملل والنحل، جـ: 2، ص: 93.
4. التفتازاني (مسعود بن عمر بن عبدالله 712هـ - 793)، شرح المقاصد (بيروت: عالم الكتب 1409-1989)، جـ: 5، ص: 11.
5. الحجر: 9.
6. البقرة: 23.
7. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبدالصبور شاهين (دمشق وبيروت: دار الفكر، 1407هـ - 1987م) ط 4، ص 25-26.
8. التوبة: 6.
9. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبدالصبور شاهين (دمشق وبيروت: دار الفكر، 1407هـ - 1987م) ط 4، ص 25-26.

10. البقرة: 179.
11. النمل: 31.
12. النساء: 82.
13. الروم: 1، 2، 3، 4.
14. الفتح: 27.
15. نوفل عبد الرزاق، معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم، ص: 39.
16. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري)، الجامع لأحكام القرآن، (ط: دار الفكر) ج: 1، ص: 75.
17. المعجزة الكبرى، ص: 386.
18. الفرقان: 53.
19. الرحمن: 20-21.
20. خان وحيد الدين، الإسلام يتحدى (المختار الإسلامي) ط 6، ص: 142.
21. الشاطبي (أبو اسحاق)، الموافقات، (ط المكتبة التجارية) ج: 2، ص: 69.
22. الفرقان: 1.
23. سبأ: 28.
24. انظر: تفصيل ذلك في تفسير الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: ط الدار التونسية للنشر) ج: 1، ص: 44-45.
25. البقرة: 48.
26. البقرة: 233.
27. المائدة: 32.
28. التحريم: 6.
29. الزخرف: 71.
30. ق: 16.
31. الإسراء: 25.
32. الرعد: 11.
33. ابن القيم، كتاب الروح، (دمشق: دار القلم، 1983م) ص: 30.
34. ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق (القاهرة: مطبعة محمد علي صبيح، 1959م)، ص: 2.
35. عبدالكريم العثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1981م)، ص 53-58.
36. د. ضياء الدين الجماس، مع الله في أعماق النفس الإنسانية (دمشق: مركز نور الشام للكتاب، 1993م)، ط1، ص:35.
37. الفجر: 27،28.
38. أخرجه البخاري في الجنائز (101/2)، وفي التفسير (220/5)، ومسلم في الجنة (2201/3)، والنسائي في الجنائز (101/4).
39. البقرة: 286.
40. آل عمران: 185.

41. الشمس: 8.
42. الشمس: 7.
43. القيامة: 14.
44. الروم: 8.
45. يوسف: 68.
46. الأنعام: 93.
47. أخرجه البخاري في الجنائز (101/2)، وفي التفسير (220/5)، ومسلم في الجنة (2201/3)، والنسائي في الجنائز (101/4).
48. الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ: 1، ص: 83.
49. التفتازاني، شرح المقاصد، جـ:3، ص:298.
50. يوسف: 53.
51. القيامة: 2.
52. الفجر: 27-30.
53. النور: 40.
54. الشعراوي محمد متولي، معجزة القرآن (كتاب اليوم) ج: 1، ص: 50.
55. د. الخالدي (صلاح عبد الفتاح)، إعجاز القرآن البياني، (عمان: ط دار عمار للنشر والتوزيع، 1421 هـ، 2000م)، ص: 500. وانظر: د. فضل حسن عباس، وسنا فضل عباس، إعجاز القرآن، (عمان: ط دار الفرقان –1991م)، ص: 339.
56. الخطابي، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: 65.
57. د. فضل حسن عباس وسنا فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص: 340.
58. الخطابي، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: 64.
59. التفسير الكبير، (ط دار الفكر للطباعة والنشر)، ج: 26، ص: 273.
60. دكتور عبد الرؤوف مخلوف: الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية نقدية، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة –1978م) ص: 52.
61. الرحمن: 13.
62. النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: شركة سوزلر للنشر 1414 هـ - 1994م) ط2، ص: 39.
63. الشورى: 52.
64. وجدي محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، (بيروت: ط دار الفكر، دون تاريخ)، ج: 7، ص:677.
65. المرجع ذاته، ص: 678.
66. المرجع ذاته، ص: 679.
67. المرجع ذاته، ص: 679.
68. المرجع ذاته، ص:679.
69. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله 745 هـ - 794 هـ): البرهان، (لبنان: ط دار المعرفة - 1415 هـ - 1994)، ج: 1، ص: 47.

70. الطور: 35.
71. القاضي عياض (أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي)، كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، (لبنان: دار الفكر 1415 هـ – 1995م) ج: 1، ص: 207-208.
72. سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق – ط 1419هـ – 1998م) ج: 6، ص: 3399.
73. د. صلاح عبدالفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، (عمان: دار عمار، 1421-2000م)، ط1، ص:491.
74. الشيخ محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، جـ 1 ص: 108.
75. الخالدي صلاح عبدالفتاح، البيان في إعجاز القرآن، (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 1413هـ -1992م) ط 3، ص 340.
76. المجادلة: 8.
77. الخالدي صلاح عبدالفتاح، البيان في إعجاز القرآن، (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 1413 هـ - 1992م) ط 3، ص 340.
78. الإسراء: 82.
79. التوبة: 14.
80. يونس: 57.
81. فصلت: 44.
82. ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، (الاسكندرية: ط دار العدل)، ص: 44-45.
83. ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، (القاهرة: دون تاريخ) ص:50.
84. ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين ت 728 هـ)، كتاب الإيمان، (دمشق المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، 1961م)، ط1، ص: 20.
85. الأنعام: 122.
86. الشورى: 52.
87. ابن القيم، (شمس الدين أبي عبد الله) إغاثة اللهفان، ص 22.
88. غافر: 60.
89. البقرة: 152.
90. الشرقاوي د. حسن محمد نحو علم نفس إسلامي، (ط مؤسسة شباب الحاوى، 1984م)، ص: 11.
91. الرعد: 28.
92. الشرقاوي د. حسن محمد، نحو علم نفس إسلامي، ص: 11.
93. الكهف: 32،33،34 إلى 42.
94. الكهف: 45.
95. يس: 70،69.
96. ق: 37.
97. الأنفال: 24.
98. ابن القيم، إغاثة اللهفان، ص 22.
99. أخرجه أبو داود في الأدب رقم 4782، باب ما يقال عند الغضب، مسند أحمد، ج 5، ص 252.

100. أخرجه أبو داود في الأدب، باب من كظم غيظاً. رقم 4779، الجمعة 16 نوفمبر سنة 2001، عدد 8216.
101. المائدة: 6.
102. جريدة الخليج (خلاصة ندوة الطب النفسي في القرآن والسنة).
103. أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود، كتاب الطب، باب العسل.
104. حديث متفق عليه.
105. ق: 16.
106. د. كمال إبراهيم موسى، تنمية الصحة النفسية، ص: 269.
107. الترمذي.
108. الإسراء: 25.
109. د. كمال إبراهيم موسى، تنمية الصحة النفسية، ص: 259.
110. الملك: 14.
111. الزمر: 23.
112. الخالدي د. صلاح عبد الفتاح، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص: 50.
113. البقرة: 235.
114. العماري علي محمد حسن، القرآن والطبائع النفسية، (ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكتاب الثاني، 1386هـ -1966م)، ص: 51.
115. صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص: 111.
116. الميداني عبد الرحمن حسن حنبكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص: 267.
117. المائدة: 83.
118. الجن: 1-2.
119. النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق احسان قاسم الصالحي (القاهرة: شركة سوزلر للنشر 1414هـ – 1994م) ط 2.
120. ماري ويلدز البريطانية رحلتي من الكنيسة إلى المسجد لماذا...؟ تقديم المستشار محمد عزت الطهطاوي، (مصر: ط مكتبة النور، 1992م)، ص: 15.
121. سيد قطب في ظلال القرآن، ج: 3/ ص: 1786.
122. المرجع ذاته.
123. مجلة الفرقان، العدد السادس، تموز 2000، ربيع الثاني 1421هـ صفحات: 59-60.
124. من كتاب: رجال ونساء أسلموا، ج 8، ص 100.
125. الطهطاوي المستشار محمد عزت، الميزان في مقارنة الأديان (حقائق ووثائق)، (دمشق: ط دار القلم، والدار الشامية، دون تاريخ)، ص: 11.
126. محمد طماشي، عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام، (دمشق: ط دار المحبة، ودار آية 2003)، ص: 54.
127. المرجع السابق، ص: 172.
128. جريدة الخليج عدد 7435، الإثنين، 17 جمادى الآخرة 1420 هـ، 27 ديسمبر 1999 (الخليج الثقافي).

129. محمد طماشي، عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام، ص: 98.
130. المرجع السابق.
131. الحجر: 9.
132. الميداني عبد الرحمن حسن حنبكة، أجنحة المكر الثلاثة، (دمشق ط دار القلم –1410 هـ - 1990م).
133. د. موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، (ط مكتبة مدبولي، 1996).
134. المرجع السابق، ص: 152.
135. المصري د. جميل عبد الله، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، (الرياض: مكتبة العبيكان –1405 هـ -1985م)، ط3، ص: 266.
136. الكهف: 54.
137. الحشر: 21.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الأصفهاني (أبو نعيم)، دلائل النبوة، (لبنان: دار النفائس، 1406 هـ - 1986 م)، ط1.
3. الأيجي (عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، ت 756 هـ)، المواقف، بشرحه لعلي بن محمد الجرجاني، (القاهرة: مطبعة السعادة بالقاهرة 1325 هـ).
4. أحمد بن يوسف بن عبدالدائم الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، (طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1414هـ-1995م).
5. الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب ت 403 هـ)، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1947)، ط1.
6. البيهقي (أبو بكر أحمد 384 هـ - 458)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، (دار الريان ودار الكتب العلمية 1408 هـ - 1988 م)، ط1.
7. البغدادي (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي ت 429 هـ)، أصول الدين، (بيروت: دار الآفاق الجديدة – 1975 م).
8. البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد ت 440 هـ)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، (الهند: طبعة حيدر آباد الركن، 1958م)، ط1.
9. التفتازاني (مسعود بن عمر بن عبدالله، ت 712-792هـ)، شرح المقاصد، (بيروت: عالم الكتب، 1409هـ - 1989م).
10. ابن تيمية (أبو العباس أحمد)، مجموع الفتاوى، (دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع – العددية، 1412 هـ - 1991)، ط1.
11. الخالدي (صلاح عبد الفتاح)، أ - إعجاز القرآن البياني، (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 1421 هـ - 2000 م)، ط1. ب - البيان في إعجاز القرآن، (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 1413 هـ - 1992م) ط3.

12. الرازي (فخر الدين محمد بن عمر، ت 605 هـ)، أ - معالم أصول الدين، (القاهرة: المطبعة الحسينية، القاهرة – 1353 هـ). ب- التفسير الكبير، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1410 هـ - 1990م).
13. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (لبنان: دون تاريخ).
14. الزركشي (بدر الدين محمد عبد الله 745 هـ - 794 هـ)، البرهان، (لبنان: دار المعرفة 415 هـ - 1994 م)، ط2.
15. الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، ت 467 – 538 هـ)، أساس البلاغة، (دار الفكر: 1415 هـ - 1994 م).
16. سيد قطب، في ظلال القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث ودار الشروق 1971 م) ط1 و (ط27 دار الشروق، 1419هـ-1998م).
17. الشهرستاني (عبد الكريم 548 هـ)، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز الوكيل، (القاهرة: مؤسسة الحلبي، 1968 م)، ط1.
18. الشرقاوي د. حسن محمد، نحو علم نفس إسلامي، (مؤسسة شباب الحاوى، 1984 م)، ط1.
19. الشاطبي (أبو اسحاق)، الموافقات، (المكتبة التجارية - دون تاريخ)، ط1.
20. الشعراوي محمد متولي، معجزة القرآن، (سلسلة كتاب اليوم)، ط3.
21. صفي الرحمن المبارك فوري، الرحيق المختوم، (دمشق: دار الخير 1997 م)، ط1.
22. ضياء الدين الجماس، مع الله في أعماق النفس الإنسانية، (دمشق: مركز نور الشام للكتاب، 1993م)، ط1.
23. الطهطاوي المستشار محمد عزت، الميزان في مقارنة الأديان (حقائق ووثائق)، (دمشق: دار القلم، والدار الشامية، دون تاريخ)، ط1.
24. عبد الرزاق نوفل، معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم، (لبنان: دار الآفاق –1980م).
25. د. عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، دراسة تحليلية نقدية، (ط منشورات مكتبة الحياة، 1978 م)، ط1.
26. العماري علي محمد حسن، القرآن والطبائع النفسية، (مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (الكتاب الثاني 1386 هـ – 1966 م)، ط1.
27. الفيروز بادي (مجد الدين بن يعقوب 729 – 817 هـ)، القاموس المحيط، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1398 هـ – 1978 م)، ط1.
28. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري)، الجامع لأحكام القرآن، (دار الفكر، دون تاريخ)، ط1.
29. د. فضل حسن عباس وسنا فضل عباس: إعجاز القرآن الكريم، (عمان: دار الفرقان 1991م)، ط1.
30. القاضي عبد الجبار (أبو الحسن بن محمد، ت 415 هـ)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، دون تاريخ)، ط1.
31. القاضي عياض (أبي الفضل عياض بن موسى البحصي)، كتاب الشفاء، بتعريف حقوق المصطفى (لبنان: دار الفكر 1415 هـ – 1995 م)، ط1.

32. ابن قيم الجوزية، أ- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، (الإسكندرية: مكتبة دار العدل، دون تاريخ)، ط1. ب- كتاب الروح (دمشق: دار القلم، 1983م).
33. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبدالصبور شاهين (بيروت، دمشق: دار الفكر، 1407 هـ - 1987م) ط 4.
34. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب، (دار صادر 1374هـ – 1955م)، ط1.
35. الماوردي (أبو الحسن على بن محمد الماوردي، ت 430 هـ)، أعلام النبوة، (دار إحياء علوم الدين 1412 هـ - 1993 م)، ط2.
36. محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، (دار الفكر العربي- دون تاريخ)، ط1.
37. محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1977 م)، ط1.
38. د. محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغلول سلام، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (مصر: دار المعارف، 1956 م)، ط1.
39. د. موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) (مصر: مكتبة مدبولي، 1996 م)، ط1.
40. محمد كامل حسين، الذكر الحكيم، (مصر: مكتبة النهضة المصرية –دون تاريخ).
41. معروف رزيق، علم النفس الإسلامي، (مطبعة العجلوني، دار المعرفة 1408هـ - 1989م)، ط1.
42. ماري ويلدز البريطانية، رحلتي من الكنيسة إلى المسجد لماذا؟، تقديم المستشار محمد عزت الطهطاوي، (مصر: مكتبة النور، 1992 م)، ط1.
43. ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق (القاهرة: مطبعة محمد علي صبيح، 1959م).
44. المصري د. جميل عبد الله، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، (الرياض: مكتبة العبيكان 1405 هـ - 1985 م)، ط3.
45. محمد طماشي، عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام، (دمشق: دار المحبة، وط دار آية بيروت: 2003 م).
46. النورسي بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: شركة سوزلر للنشر – ط1، 1414 هـ - 1994 م).
47. الميداني عبد الرحمن حسن حنبكة، أ - العقيدة الإسلامية وأسسها(دمشق، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع –1412 هـ - 1992 م)ط6. ب- أجنحة المكر الثلاثة، (دمشق: دار القلم- 1410 هـ - 1990 م)، ط1.
48. ابن هشام: السيرة، (مصر: دون تاريخ)، ط1.
49. وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، (المختار الإسلامي - دون تاريخ)، ط6.
50. وجدي محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، (بيروت: دار الفكر، دون تاريخ)، ط1.